

أضواء البيان

@ 433 قوله تعالى : { فَقَالَ الْإِمْلَأُ السَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَ بَشَرِنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبِعَكَ إِلَّا السَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِإِدْنِي الرَّسُولِ } إلى قوله { وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ لِلْعَالَمِينَ } .
 ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مَوْلَا قَوْمِ رَبِّهِمْ وَلَا كُنْزِي أَرَاكُم قَوْمًا تَجْهَلُونَ } .

وقد دلت هذه الآية وأمثالها ، على صدق مقالة هرقل حينما سأل أبا سفيان ، عن أتباع محمد صلى الله عليه وسلم : أنهم سادة القوم أم ضعفاؤهم ؟ فقال : بل ضعفاؤهم . فقال : هكذا هم أتباع الرسل . .

وقال العلماء في ذلك : لأنهم أقرب إلى الفطرة ، وأبعد عن السلطان والجاه ، فليس لديهم حرص على منصب يضيع ، ولا جاه يهدر ، ويجدون في الدين عزاءً ورفعاً ، وهكذا كان بلال وصهيب وعمار ، وهكذا هو ابن أم مكتوم رضي الله عنهم . { أَمَّا مَنْ اسْتَعْذَرَ بِنَتِّهِ * فَأَنَّتْ لَهُ تَصَدَّقَ * وَمَا عَلَايَكَ إِلَّا يَزَّكَى } . بيان لموقفه صلى الله عليه وسلم من جميع الأمة ، وحرصه على إسلام الجميع حتى من أعرض واستغنى ، شفقة بهم ورحمة ، كما بين تعالى حاله صلى الله عليه وسلم بقوله : { عَزَّيْزٌ عَلَايَهُ مَا عَدَّتْهُمْ حَرِيصٌ عَلَايَهُمْ * } وكقوله : { فَلَا عِلَّاءَ لَكَ بِأَخِي * نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ قَارِهِمْ * إِنَّ لَكُمْ يَوْمَ يَوْمُنَا بِهِ إِذًا الْوَعْدُ } . .

وقوله : { وَمَا عَلَايَكَ إِلَّا يَزَّكَى } ، بيان أنه صلى الله عليه وسلم ليس عليه ممن لا يتزكى ، وقد صرح تعالى بذلك في قوله : { إِنَّ زَمَّامَ أَنتَ مُنْذِرٌ } وقوله : { إِنَّ عَلَايَكَ إِلَّا الْبِلَاقُ } ، وقوله : { لَّيْسَ عَلَايَكَ هُدَاهُمْ } ، ومثل ذلك . .

وقد جمع الأمرين من الجانبين في قوله تعالى عن نوح عليه السلام { وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ لِلْعَالَمِينَ * إِنَّ أَوَّلَ نَذِيرٍ مُبِينٌ } . { كَلَّا إِنَّ زَمَّامَ تَذَكُّرَةٍ * فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ * فَى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ * مَّرْفُوعَةٍ * مُّطَهَّرَةٍ * بِأَيْدِي سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ } . معلوم أن كلمة : كلا : ردع عملاً سبق ، وهو في جملته منصب على التصدي لمن استغنى ؟ والإلحاح عليهم والحرص على سماعهم منه ، ولكن الله تعالى يقول : إن منزلة القرآن والوحي والدين أعلى منزلة من أن تبذل لقوم هذه حالتهم فهي على ما هي عليه من

